بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس اللاهوت الرعوي

اليوم الثالث - المحاضرة الثانية

البناء الروحي للخادم – الأنبا إيلاريون

كيف نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ السيد الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا

من هو السفير؟؟

- السفير هو الإنسان الذي يمثل وطنه في كل شيء في لغت، في مظهره، في عاداته، في آرائه، يحب أن يعيش هويته دون أن يفقدها.
- السفير لا يأخذ قوته من نفسه ولكنه يأخذها من وطنه.
- يعرف الناس بوطنه ويثبت وجوده فهو سفير لهذا الوطن.
- وجوده في البلد هو وجود مؤقت لكن قلبه وكيانه واهتمامه كله منصب في بلده كيف يشرفها، يتحدث عنها، كيف يمثلها في وسط الناس.
- الخادم هو يمثل السيد المسيح على الأرض، يعيش حياة الغربة ولكن دوره هو النمو ينمو كالحنطة لا يسعي لكي يزيل الزوان بمقدار سعيه لكي ينمو، ودوره بالدرجة الأولي هو السعي عن خلاص نفسه وأثناء ذلك يصير هو نفسه قدوة يُحتذي بها فيكون بالفعل سفير عن السيد المسيح له كل المجد على هذه الأرض.
- هو يرى كيف سلك السيد المسيح على الأرض ويسعى أن يسلك كما سلك ذاك لذلك لابد وأن ينمو روحياً لا يقف عند درجة معينة.

عندما سأل بيلاطس السيد المسيح وقال له: **"أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟" أجاب السيد المسيح وقال: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ"**. لذلك كل خادم لابد وأن يسال نفسه أين هي مملكتي؟ هل هي على الأرض أم في السماء؟

- الخادم لابد وأن ينمو للحياة الأبدية فلا يظل على درجة معينة في الأرض فالأرض زائلة ونحن أيضاً زائلون فلابد أن يهتم بخلاص نفسه وفيما هو يهتم بهذا أيضاً الآخرون يقتدون به في اهتمامهم بخلاص أنفسهم.

يخدم الناس ولا يُخدم من الناس

- الخادم عندما يري السيد المسيح له كل المجد كما قيل عنه في إنجيل معلمنا متى "لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مت ٢٠: ٢٨) هذا هو الخادم: يخدم ولا يُخدم من قبل

الناس وينمو في هذا وتتطور الفكرة في الخدمة ويقول: إذا كان السيد المسيح له كل المجد أتى ليخدم فكيف لي أن أقبل أن أُخدم من قبل الناس بل يجب أن أخدم وأبذل نفسي **فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ.** وهذا ما نتعلمه من السيد المسيح له كل المجد كيف أن الخادم يبذل وقته، جسده، ماله، كل شيء فدية عن كثيرين ويصل بهم للسماء.

وديع ومتواضع القلب

- أيضاً يقول معلمنا متى عن السيد المسيح "كان **وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ**" فكيف يكون الخادم متمثلاً بالسيد المسيح في هاتان البركتان "الوداعة وتواضع القلب". رغم كل سلطان السيد المسيح ولكنه يقول أنه **لَيْسَ كَالْكَتَبَةِ** فسلطانه ليس للتسلط على أحد بل سلطانه ليفدي الجميع.

ينبوع يروى عطش الناس للمسيح

- إنجيل معلمنا يوحنا يقول "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ" (يو٧: ٣٧) فهو جاء ليسقي كل ما هو عطشان جاء ليعطي كل من يطلب منه فهو يقول عن نفسه **أَنَا يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ** من يأتي إلى ويعطش؟؟

لذلك يتمثل الخادم بالسيد المسيح في أنه ينمو ويتدفق دائماً من أجل أنه إذا سأله أي أحد في سؤال معين أو في احتياج معين أو إرشاد يستطيع أن يرويه وينقله من الموت إلى الحياة.

يجول يصنع خيراً

- السيد المسيح له كل المجد يقال عنه في أعمال الرسل "الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا" هو كان يجول يصنع خيراً. تصور أنه يجب على كل خادم وخادمه أن يجول يصنع خيراً. أي أنه في كل مجال يذهب إليه يجب أن يفعل خير لمن هو أمامه.

يركز على النقاط الحسنة ولا يرى العيوب

- السيد المسيح لم يركز على عيوب الناس ولكنه كان يركز على النقاط الحسنة وكذلك يجب علينا أن نكون هكذا في أننا لا ننتقد الناس ولكن نركز عن النقاط الحسنة التي نمتدحهم فيها وهذا نمو في الحياة الروحية فأنا أنتقل من التعامل بالجسد إلى التعامل بالروح أتعامل كما كان يتعامل السيد المسيح له كل المجد. فمثلاً السامرية في إنجيل معلمنا يوحنا قال لها "هذَا قُلْتِ بِالصِّدْقِ" هي إنسانة خاطئة ولكن السيد المسيح استحسن فيها قولها "لَيْسَ لِي زَوْجٌ".
- كيف يُنمي الخادم نفسه في التعامل مع الآخر؟ في أنه يصطاد منه الكلمات الجميلة، التصرفات السليمة ويبعد عن أي سلوك خاطئ. كقول البابا شنودة "إذا ارتدى أحد من الناس ثوب أبيض وفيه نقطة سوداء فنظرة الناس ستكون مركزة على النقطة السوداء وتترك الثوب الأبيض كله ولكن كيف للخادم أن ينمو ويصل إلى أن يكون سفير عن السيد المسيح في رؤية كل ما هو حلو في الانسان ويمتدحه ويترك السوء لينصلح مع نفسه.

لا يميز بين الشرير والبار

- في إنجيل معلمنا متي البشير "وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" أي أنه لا يميز بين الشرير والبار فقد كان يمطر على الجميع وهذا هوما نستحسنه في سلوكنا كخدام وخادمات أن تكون علاقتنا بالناس أن نعطي الجميع دون تمييز بين البار والشرير.

مريح التعابى وثقيلى الاحمال

- أيضاً يقال عنه في انجيل معلمنا متى أنه كان مريح للتعابي "تَعَالَوْا إِلَى يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُم" (مت١١: ٢٨) لابد وأن نلاحظ كلمة (جميع) هنا. كيف يكون الخادم مريح لكل إنسان يأتي إليه. بعض الناس يكونوا متضايقين أو متعبين سواء في عملهم أو في سكنهم أو في علاقاتهم مع الآخرين سواء أقاربهم أم غرباء عنهم، ولكن من هو الخادم المتمثل بالسيد المسيح في كونه مريح للتعابى. كيف يريحهم؟؟ بالكلمة الجميلة، بالإرشاد الطيب أنه يُبرد الحرارة والتعب الذي بداخل هذا الإنسان المشتعل. وهذه وظيفتنا كخدام وسفراء عن السيد المسيح أن نتمثل بالسيد المسيح ونريح التعابى كما كان يسوع المسيح إلهنا مريحاً للتعابى.

يخلص ولا يدين

- السيد المسيح له كل المجد يقول عنه الكتاب "لا يدين الخاطئ" في إنجيل معلمنا يوحنا "يَا إِمْرَأَةُ، أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟" فهو لم يأت للدينونة بل أتي ليخلصنا كلنا ويفدينا كلنا، هذا ليس وقت الدينونة وقال لها "ولا أنا أدينك" كلمة جميلة ومثال لنا كخدام كيف نكون في نمو روحي بأننا لا ندين أحد مهما كان خاطئ وكيف نلتمس له العذر ونقيمه من الوضع السيء الذي هو فيه.

لا يبحث عن مديح الناس

- السيد المسيح له كل المجد لا يبحث أبداً عن مديح الناس. يقول في إنجيل معلمنا يوحنا "مَجْدًا مِنَ النَّاسِ لَسْتُ أَقْبَلُ" لا يبحث عن مجد او مديح من الاخرين فلا يفتخر أحد بصوته أو بنعمة الكلمة التي أعطاها الله له. هذه نعم جميلة من الرب ولكن لابد ألا نشتهي المجد والمديح لامتلاكنا هذه النعم.

لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته

- أيضاً لابد أن ننمو في حياتنا الروحية في تقبلنا هذه الموهبة الجميلة "لا يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ." (مت١٢: ١٩) هذه الثلاثة كان السيد المسيح وديع في تعامله مع كل هذا الشعب بمختلف أطيافه وكان يتمثل بهذه الوداعة وهذا الهدوء، ويجب على الخدام والخادمات أن يتصفوا بهذه الصفات الجليلة ولابد أن يعتادوا ويجاهدوا لنوال هذه الصفات وتكون هي صفاتهم كما كانت صفات السيد المسيح له كل المجد.
- نحن سفراء عن السيد المسيح، في حالة علو أصواتنا أو تخاصمنا أو تشاجرنا فنحن هنا لا نمثل السيد المسيح أبداً في هذه الأمور ولكننا نتكلم عمن يتمثل بالسيد المسيح في هذه الصفات الجليلة فيجب على الخادم والخادمة أن لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ.

الطاعة

- وضعك كخادم أو كخادمة: أحياناً قد تحدث بعض المشادات مثلاً في طلبنا من أحد الخدام تغيير وضعه من خدمة إلى أخرى نجده قد يتذمر وهذا خطأ فالسيد المسيح لم يتذمر من ولادته في مذود أو من فقر والديه أو كونه ليس له مكان أو فندق يولد فيه، يقول عنه الكتاب أنه وُلد في مذود، "لَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ" (مت ٨: ٢٠) ولكن مع ذلك كان راضياً وفرحاً ولا يتذمر. ويجب على الخادم والخادمة أن يعيشوا الحياة الروحية الحقيقية في أي وضع أو أي مكان أو أي خدمة تُطلب منه، لابد أن يتعود على كلمة حاضر وتكون عنده مواهب جميله ويتعلم الطاعة.

يعتني بالنفس الواحدة

- السيد المسيح له كل المجد كان في مثل السامرية يعتني بالنفس الواحدة وكان يفرح برجوع الخاطئ "أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ" (لو١٥: ٧) السيد المسيح له كل المجد سار عدة أميال ليصل لامرأة واحدة (السامرية) ليخلصها وأيضاً يصيرها مبشرة ليس فقط تائبة بل تجعل الاخرين أيضاً يتوبوا من أجل نفس واحدة الخادم الذي يعيش حياة النمو الحقيقية لابد وأن يتدرب على هذه الصفات والمواهب الجميلة في جريه بحثاً عن الخاطئ وإرجاعه كما فعل السيد المسيح له كل المجد مع السامرية.

صديق ومعين وعزاء

- يقال عنه في أوشية المرضى "صديق من ليس له صديق، معين من ليس له معين، عزاء صغيري القلوب، ميناء الذين في العاصف" هذا هو السيد المسيح هو معين من ليس له معين وعزاء لكل إنسان ضعيف وصغير القلب، والميناء للذين في العاصف حيث الهدوء والاطمئنان.

يبغض الخطية ولا يبغض الخاطئ

- السيد المسيح له كل المجد كان يبغض الخطية ولا يبغض الخاطئ.
- في رسالة معلمنا يوحنا الأولى "إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ" (١يو١: ٥) هو نور من نور ولا يحب الخطية ولكن الخاطئ ابنه فهو يربت على كتفيه ويحضره إليه.
- في إنجيل معلمنا يوحنا يقول السيد المسيح: "وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أيضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ" (يو١٧: ١٩) وهذا أيضاً نوع من المواهب الجميلة التي يجب أن تكون في الخادم أو الخادمة أن يقدس ذاته من أجل الآخرين ليكونوا هم أيضاً قديسين فلا يجوز لخادم أو خادمة أن ينصحوا الأولاد بشيء أو يرشدوهم بتدريب روحي وهم لا يفعلوه أولاً مثل حضور القداس باكراً والتناول كل اسبوع والصلاة وعمل الميطانيات وقراءة الكتاب المقدس. فلابد علىَ كخادم أن أتصف بصفه القداسة وأنمو في جهادي من درجة إلى درجة (مثل درجات السلم) ومن فضيلة إلى أخرى وأكون في نمو دائم في كل درجة وسلم أكتسب فضيلة. ونتعلم من السيد المسيح أنه من أجل المخدومين يجب أن أكون أنا قديساً لكي أجعلهم أيضاً هم قديسين.

يخدم بلا تحزب أو كره

- السيد المسيح له كل المجد لم يكن له أحزاب أو مجاميع. في إنجيل معلمنا يوحنا "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦) لم يقل الأبرار أو القديسين أو الصديقين بل قال العالم كله وهذا هو المطلوب منا كخدام ألا يكون عندنا مجاميع وأحزاب بين كل مجموعة وأخرى أو وجود نوع من الكره أو البغضه داخل الكنيسة الواحدة. يجب على الخادم أن يكون ضد المجاميع والأحزاب بل يحب العالم كله ولا يكره أحد كمثال السيد المسيح حتى يهوذا قال له "يا صاحب".

كان لا يجازي عن شر بشر

- السيد المسيح كان في كل المواقف يظهر أنه إنسان يتقبل من الآخر الشر ولا يقاومه "لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بالشر بل قاوموا الشر بالخير" عندما قالوا عنه أنه ببعلزبول رئيس الشياطين لم يعاقبهم ولم يتذمر عليهم أبداً بل تعامل معهم بمنتهى البراءة والتواضع.

كان ساتر لخطايا الناس

- السيد المسيح له كل المجد في معجزة الإنسان المقعد الذي له ٣٨ سنه ستر عليه وقال له: اذهب ولا تعود تخطيء أيضاً. المحبة تستر كثرة من الخطايا، هكذا نحن كخدام يجب أن لا نؤنب أحد على عمله حتى لو كان هذا العمل سيئ أو مضر بل يجب أن نتعلم هذه الفضائل من السيد المسيح له كل المجد لكي ننمو ونصعد السلم درجة درجة، كل درجة نتعلم فيها فضيلة لكي نأتي بإخوتنا المخدومين إلى ملكوت السموات.

الجهاد المستمر

- نحن نكون سفراء عن السيد المسيح ونتمثل بأفعاله بالجهاد المستمر فنحن لا نبحث عن كيف نخرج القذى من عين الآخرين بل نبحث كيف نخرج الخشبة من أعيننا أولاً لكي نبصر جيداً أن نخرج القذى من عين الآخرين. يجب أن يكون هناك جهاد في العالم وحياة العالم بها تقلبات حروب، خطايا، شياطين، من الذات نفسها. ولكن ربنا أعطانا وعد أمين وقال: "هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (مت٢٨: ٢٠)، مهما جاهدنا هو معنا ويجب أن يكون لدينا إيمان قوي بأنه معنا كل الأيام وإلى انقضاء الدهر، وأحد الآباء القديسين قال "من يظن في نفسه أنه بلا عيب فقد حوى في ذاته سائر العيوب" فيجب علينا أن نشعر بالآخر ولا نعتقد أننا كخدام وصلنا لدرجة ألا نُسأل أو نؤنب فقط بل لابد وأن نجاهد لكي ننمو ويجب أن نحاسب أنفسنا جيداً على فعل الخير الذي كان يجب أن نفعله. يقول معلمنا بولس في رساله روميه "فَأَنْتَ إِذًا الَّذِي تُعَلِّمُ غَيْرَكَ، أَلَسْتَ تُعَلِّمُ نَفْسَكَ؟" يجب أن نكون في نمو باستمرار، في القراءة نقرأ كثيراً ونتعلم تاريخ الكنيسة، طقس الكنيسة، الأحان. أمور كثيرة ولا نهتم بأمر ونترك الآخر نتعلم الفضائل لنعلم آخرين، نتعلم دراسة الكتاب المقدس لكي نستطيع أن نفسره للآخرين.

احتياجات الخادم

- كثيرا ما نتحدث عن المخدومين وكيف نخدمهم ونبنيهم لاهوتياً وروحياً ونحن في الحقيقة لا نمتلك المهارة في التعامل مع الآخرين في المشكلات. كثيراً أيضاً ما نتكلم عن الخادم واحتياجاته فالخادم يجب أن يكون متنوع المواهب كيف يصير معلماً ويعرف تماماً أنه غير معصوم من الخطأ وهذا أمر بديهي جداً لأنه إنسان ضعيف يريد أن يتعلم ويعرف. مهما كانت الأسماء ومهما كانت شهرتها فهم في حاجة إلى نمو. فقال أحد الآباء أنه لابد وأن يقرأ كثيراً جداً لكي يكون متجدد ولا يقف عند خط معين فهو ينمو بالمعرفة أعرف أكثر لكي أستطيع العطاء فكلما أعرف وأقرأ وأدرس وأتثقف واتعلم كلما أستطيع أن أقدم أكثر للمخدومين.

الخادم إنسان تائب يقود تائبين

- هو إنسان باحث عن التوبة لابد له أن يصل بسفينته لبر الأمان كي يرشد الآخرين كيف تنتقل سفنهم إلى بر الأمان.
- الله لا يقف عند خلاص أنفس المخدومين فقط ولكنه يبحث عن القامة الروحية للخادم فإذا ضل الخادم أضل آخرين معه وإذا وقع في مشكلة دون أن يعرف حلها فهو مُضل من ورائه، ولابد أن يكون قدوة للآخرين يحتذى بها ولكن للأسف الشديد إذا انحرف الخادم عن الإيمان يُضل كثيرين معه فلزم عليه أن يكون إنسان دقيق فيما يقوله ويقرأه ولا يقدم معلومة إلا إذا كان واثق في هذه المعلومة ولا يلتقطها من كتاب غير موثوق فيه.
- نمو الخادم واهتمامه في إبقاء نفسه دائماً في نمو، دائماً إنسان قارئ، فاهم، دارس ليس فقط ذو خطابة وإنما يعمل ما يقول به لكي يشعر بها وبفائدتها.

التدبير الروحي للخادم

- التدبير الروحي للخادم هو ألا يحمل الآخرين أحمالاً هو نفسه لا يقدر على حملها. لا نحمل الناس أحمالاً عسرة لا نستطيع نحن أن نمسها بإحدى أصابعنا. كأن أنصح شخص بالصوم وأنا لا أصوم أو أن يضرب ١٠٠ ميطانية وأنا أضرب ٢٠ فقط. لا نحمل الناس أحمالاً ثقيلة إلا إذا جربناها نحن أيضاً. لذلك يجب على الخادم أن يكون مُدرب كيف بدأ وكيف نما وكيف تدرب وكيف وصل إلى هذه القامة لكي يكون هو أيضاً مثلا ومعينا للمخدوم في نموه بناء على خبرته.

الخادم والخلوة

- الأمر يحتاج إلى وقفه مع النفس من فترة إلى أخرى. البابا شنودة علمنا بأنه كان يقضي نصف الاسبوع في الدير والنصف الآخر في العمل. يجب أن تكون هناك وقفه لكل خادم من البابا حتى أصغر خادم.
- ماذا فعلت؟، وإلى أين وصلت؟، من أحرجت أو ضايقت؟، هل أعثرت أحد؟ من خلال محاسبة النفس من وقت لآخر الإنسان يدخل إلى أعماق نفسه ويسأل نفسه إلى أين وصل وإلى أين يجب هو أن يصل وهل يوجد تقصير ويجب أن يكون في قامه أخرى وأن يكون هناك نمو هل يوجد خطوة للأمام؟ هذه الخطوة نصل لها من الخلوة ومحاسبة النفس والمخدع.
- كان الوعاظ قديماً ينتقلون من بلد لأخرى ومن مكان لمكان لكي يلقوا العظة وكان أحدهم يقول إنه كان لابد وأن يصلي قبل إلقائه لأي عظة ليتكلم الله عن فمه، هذا الخادم هو خادم روحي خادم عاش وامتلأ بالروح وأتى لكي يفيض على المخدومين مما امتلأ به.

واجبات الخادم

- لديه واجبات ولابد أن يكون على أتم الاستعداد للإيفاء بهذه الواجبات "تحضير الدرس - صلاة- تنفيذ عملي - ممتلئ لكي يفيض على الآخرين. هذه الوقفة تحدد أين مكاني في سلم الفضائل وأي درجة أنا وصلت لها؟.

قصة

- سأل بعض من طلاب جامعة الدكتور المحاضر لهم بعض الأسئلة البسيطة من الكتاب المقدس: "كم عدد إصحاحات إنجيل متى؟ كم عدد أسفار العهد الجديد؟ ولم يتمكن الدكتور من الإجابة وكانت دهشة التلاميذ لسهولة الأسئلة ولكن رد هذا المعلم الوقور كان: "أنا بدأت في قراءة إنجيل متى وعند وصولي إلى الموعظة على الجبل إصحاح خمسة وتوقفت عند آية في أول العظة ولم أستطع أن أُكمل لأني قررت أن أقف عند هذه الآية لتنفيذها أولاً قبل استكمالي للقراءة"، هو هنا يريد أن يكون معه فاعلية الآية وكيف يعيشها وينفذها وليس مجرد جمع معلومات وهذا دورنا كخدام لابد أن نغوص فيما يقوله الكتاب المقدس إلى أن نمتلئ به ونفيض على الآخرين أيضاً.
- السيد المسيح يقول في إنجيل معلمنا متي "وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ٢٠) نحن كخدام لابد أن نعمل أولاً على أنفسنا أولاً بأن ننمو في حياتنا الروحية ونكبر ثم نعلم الآخرين ما قد تعلمناه. هذا هو الحجم الطبيعي لأي خادم فالمخدع والخلوة يُخرج ما بداخلي لمعرفة مستواي ومدى تقصيري ومعدل نموي وكم من الدرجات تنقصني للوصول إلى ملكوت الله.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإِلَىّ الْأَبَد أمِين